



مقدمة:

بعد سكون بعض الجبهات واحتلال بعضها، واستنفارِ المجاهدون لإخوانهم من ركنا عن متابعة الجهاد وملاحقة أعداء الله رغم امتلاكهم للسلاح والعتاد، كان لابد من الرجوع إلى أي القرآن لتشاهد بعض الظروف المشابهة لواقع الحال.. ونرى أن المجاهد لا يُقدِّمُ عن متابعة الجهاد ببطئة ولا تخذل، ولا خلل في الصف، ولا عورة في الطريق، ولا قوة للعدو.. ونرى كيف أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يستمر في الجهاد والقتال حتى ولو بقي وحده.. وكيف أمره بأن يحرض المؤمنين ليكُفَّ الله بهم بأس الذين كفروا.

فيما أيها المجاهدون من هدأت جبهاتهم، إليكم هذا البيان الرباني الذي يوضح لكم الطريق كما أوضحته من قبل لنبيكم وأصحابه، لتسيروا عليه كما سار، فتصلوا كما وصل.

عناصر الخطبة:

- 1- التزام الدفاع **يُضعفُ النفس** ويوهن العزيمة، وبغزوهم تعلو الهمة وتقوى الشكيمة.
- 2- وحرض المؤمنين.
- 3- افتحوا الجبهات فإنها رحماتٌ ولعنات.

1- التزام الدفاع **يُضعفُ النفس** ويوهن العزيمة، وبغزوهم تعلو الهمة وتقوى الشكيمة:

(وَلَا تَهُنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَائِمُونَ كَمَا تَأْمُونُ يَأْمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْمًا حَكِيمًا) [النساء: 104].

لو قرأتنا الآيات التي جاءت قبل هذه الآية – اضغط هنا: وهي الآيات من 95 إلى 104 من سورة النساء – [ولو قرأها الخطيب على المنبر لكان أوضح للمعنى وأبين للأثر] لوجدنا أنها تتكلم في شأن الحرب وما يقع فيها، وبيان كيفية الصلاة في أثناءها وما يراعى فيها إذا كان العدو متاهياً للحرب من اليقظة وأخذ الحذر وحمل السلاح، وبين للمؤمنين في هذا السياق شدة عداوة الكفار لهم، وتربيصهم غافلتهم وإهمالهم؛ ليوقعوا بهم، (وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلَاحِكُمْ وَأَمْتَعْتُكُمْ فَيَمْبُلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ..) [النساء: 102].

بعد هذا كله نهى الله عن الضعف والوهن في لقائهم، وأقام الحجة على كون المشركين أجرد وأولى بالخوف من المؤمنين؛ لأن الألم والمشقة في القتال والاستعداد له يستوي في المؤمن والكافر، ولكن المؤمن يمتاز بأن عنده من الرجاء بالله ما ليس عند الكافر، فهو يرجو منه النصر الذي وعد به، ويعتقد أن الله قادر على إنجاز وعده، ويرجو ثواب الآخرة على جهاده؛ لأنه في سبيل الله، وقوّة الرجاء هذه تخفف كل ألم وربما تُذهب الإنسان عنه وتنسيه إياه. (وَلَا تَهُنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ...) إنه أمر بالهجوم أيها المجاهدون الأبرار، الهجوم وليس الدفاع!! لا تضعفوا في طلبهم وملاحقتهم، وذلك أن الذي يتلزم الدفاع

في الحرب تضعف نفسُه وتهن عزيمتُه، أما الذي يوطن نفسه على المهاجمة تعلو همته، وتشتد عزيمته، فالنبي عن الوهن نهي عن سببه، وأمر بالأعمال التي تضاده، فتحول دون عروضه (وَلَا تَهُنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلِمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلِمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيهَا حَكِيمًا) [النساء: 104].

عليكم بالعزيمة وعلو الهمة والهجوم وطلب العدوان لا يُلْمِ بكم الوهن والضعف،

إإن كنتم تألمون فإنهم يألمون كما تألمون؛ لأنهم بشر مثلكم، يعرض لهم من الوجع والألم مثل ما يعرض لكم، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون لأنكم تعلمون من الله ما لا يعلمون، وتخصونه بالعبادة والاستعانة وهم به مشركون، وقد وعدكم الله إحدى الحسينين النصر، أو الجنة بالشهادة إذا كنتم للحق تنتصرون، فأنتم إذن أجرد بالهاجمة، فلا تهنو بالتزام خطة المدافعة، وكان الله عليما حكما وقد ثبت في علمه المحيط، واقتضت حكمته البالغة، ومضت سنته الثابتة، بأن يكون النصر للمؤمنين على الكافرين، وما داموا بهديه عاملين، وعلى سنته سائرين. [انظر تفسير المنار 5/317].

إنها لمسة قوية عميقية التأثير في التشجيع على الجهاد في سبيل الله في وجه الآلام والمتاعب التي تصيب المجاهدين. وبهذا التصوير يفترق طريقان ويزرس منهاجنا ويصغر كل ألم، وتهون كل مشقة. ولا يبقى مجال للشعور بالضنى وبالكلال.. فالآخرون كذلك يألمون، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون!

ولو نظرنا إلى الآيات التي قبلها وهي في نفس السياق، لوجدنا فيها تحذير وتهديد لمن يظلون قaudin: (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَئِكَ الظَّرَرُ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةٌ وَكُلُّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِبِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَا كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلْمَ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَا جَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) [النساء: 95-97].

ثم تلتها فقرة أخرى عن ضمان الله سبحانه لمن يهاجر في سبيله، منذ اللحظة التي يخرج فيها من بيته، قاصداً الهجرة إلى الله خالصة سواء من دار الكفر وهي مكة حينئذ إلى دار الإسلام وهي المدينة، أو كانت هجرته من موقع القتل والتعذيب والاعتقال إلى موضع يأمن فيه على دينه وأهله، أو هاجر ليفسح المجال للمجاهدين بأن يقاتلا عدوه وعدوهم، لقد عالج القرآن فيها كل المخاوف التي تهجم في النفس البشرية وهي تُقْدِمُ على هذه المخاطرة المحفوفة بالخطر، الكثيرة التكاليف في الوقت ذاته.. (وَمَنْ يُهَا جِرْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) [النساء: 100].

وتليها فقرة أخرى تتكلم عن كيفية الصلاة عند الخوف في ميدان القتال وتدل هذه العناية بالصلاحة في هذه الآونة الحرجة، على طبيعة نظرة الإسلام إلى الصلاة، وعلى أن المجاهدين أحوج ما يكونوا إلى الاتصال بالله في أحلك الظروف وأقصى المشاهد..

إنه المنهج القرآني الرباني في التعامل مع النفس البشرية في قوتها وضعفها ويعرف كيف يكونها وينتجها.

2- وحرض المؤمنين:

قال تعالى: (فَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بِأَسْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُ بِأَسَا وَأَشَدُ تَنْكِيَّا) [النساء: 84].

في هذه الآية والتي قبلها تبرز لنا ثلاثة ملامح مهمة كانت في الصفة المسلم آنذاك، ونحن نجدها اليوم في صفتنا، فلنرى كيف
عالج الله تلك المشكلات:

الملمح الأول:

يبرز لنا مدى الخلخلة في الصفة المسلم وعمق آثار التبطئة والتعويق والتثبيط فيه، وربما كان هذا بين معركة أحد والخندق،

فهذه أحرج الأوقات التي مرت بها الجماعة المسلمة في المدينة، بين مكر المنافقين، وکيد اليهود، وتحفز المشركين، وعدم اكتمال التصور الإسلامي ووضوحيه وتناسقه بين المسلمين! وعندها تقرأ الآيات تتبيّن لك هذه المعاني – اضغط هنا: الآيات من 70 إلى 85 من سورة النساء – فهناك عيوب كانت قائمة في صف المسلمين ومن أول الآيات والتقويم مستمرٌ لهذه العيوب.

الملمح الثاني:

قوة بأس الذين كفروا يومذاك والمخاوف المبثوثة في الصف المسلم.. فلآيات تبيّن لنا مدى المخاوف والمتابع في التعرض لقتال المشركين يومذاك.. حتى ليكون أقصى ما يعلق الله به رجاء المؤمنين: أن يتولى هو سبحانه كف بأس الذين كفروا فيكون المسلمون ستاراً لقدرته في كف بأسهم عن المسلمين.. مع إبراز قوة الله – سبحانه – وأنه أشد بأساً وأشد تنكيلاً..

الملمح الثالث:

ذلك تبرز لنا حاجة النفس البشرية وهي تُدفع إلى التكاليف التي تشق عليها، إلى شدة الارتباط بالله وشدة الطمأنينة إليه وشدة الاستعانة به وشدة الثقة بقدرته وقوته.. فكل وسائل التقوية غير هذه لا تجدي حين يبلغ الخطر قمته. وهذه كلها حفائق يستخدمها المنهج الرباني والله هو الذي خلق هذه النفوس، وهو الذي يعلم كيف تُرَبِّي وكيف تُقْوَى وكيف تُسْتَجَاشُ وكيف تستجيب..

فمع هذه الملامح الثلاثة وغيرها تأتي قمة التحضيض والاستجاشة للجهاد الذي لا يُفْعَدُ الفرد عنه تبطئة ولا تخذيل، ولا خلل في الصف، ولا وعورة في الطريق، ولا قوّة للعدو، حيث يوجه الله الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقاتل ولو كان وحيداً (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَافَّ إِلَّا نَفْسَكَ)، وفي الوقت ذاته يحرض المؤمنين على القتال.. (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَافَّ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُ بَأْسًا وَأَشَدُ تَنْكِيلًا) [النساء: 84].

3- افتحوا الجبهات فإنها رحمات ولعنات

أيها المجاهدون: لا يقعدكم عن الجهاد قوة للعدو ولا وقف للدعم ولا وصاية من الخارج، ليكن شعاركم أقاتلهم وحدى حتى تنفرد سالفتي، ألا فحركوا جبهاتكم، وأشغلوا عدوكم، وخذلوا واحصروه واقعدوا لهم كل مرصد، ولا تضعفوا في طلبهم وابتغائهم..

إخوانكم في باقي الجبهات يستنصرونكم ويستنفرونكم، وقد تعودوا منكم مسابق THEM في انتصاراتهم، ألا لا تجعلوا أعداء الله يستفردون بهم فينتهون منهم ليبدأوا بكم، اعلموا أن الله يقول: (وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ..) [الأنفال: 72].

واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ..) [البخاري: 6951]. ألا لا تسلمو إخوانكم لمجرمين يستأصلوا شأفتهم، هيا انفروا إلى ساحات العز وكونوا أصحاب قرار فعدوكم اليوم يهابكم.. لا تنتظروا إلى المناطقيات التي قتلتانا، والسميات التي أخرت نصرنا، لقد اجتمع على إخوانكم من بأقطارها، دروز، ولجان شعبية، و مليشيات شيعية، ومجوس إيران، ومرتزقة أفغان، والشيوعيون الروس، والصينيون والأمريكان ... ومنافقوا العرب، اجتمع هؤلاء رغم اختلاف مللهم ونحلهم، أفلًا تجتمعون أنتم ودينكم واحد؟!

لن يوقف زحف شامنا للنور علّج ولا فُجَارٌ

دم بدم، هدم بهدم، يوم بيوم، عقد القرار
إنا لصبر في الجهاد وإننا يوم الكريمة كلنا أحجار
سلوا التاريخ عن شامنا تأييكم من شذا سطوره الأخبار
هنا اليرموك، هنا أجنادين، هنا أجداننا صاروا
هنا أبو بكر، هنا عمر، هنا أبناء عائشة الأخيار
هنا ليوط عواد قد أتوا قد ضاقت بهم الدار
فيما دعي أترك أرضنا، وبما كسرى خلي شامنا وإلا فالنار
ولأن جمعتنا بكم ساح الوعي فشرب دمائكم ساختار
وستعلمون حين لقائنا العز لنا ولغيرنا العار
هل يستوي يا قومنا من يقول يارب يا قهار
وسافل خر مقبل للنعل يقول ربى بشار؟!

فيما أهل الشام طوبى لكم.. جمعوا قواكم.. شدوا من أزر بعضكم.. افتحوا جبهاتكم.. أروا الله من أنفسكم خيراً
والله لتنصرن سوريا رغم أنفك يا أسد
والله لتنصرن سوريا رغم أنفك يا إيران
والله لتنصرن سوريا رغم أنفك يا روسيا
والله لتنصرن سوريا رغم أنوفكم يا خواج
فيما أيها المجاهدون الأبرار:
أحيوا سنة جدكم عمر.. اضربوا الرأس.. فإن الشيطان يسكنها
يا أبناء الشام:

حالة البغي صالت فأين عهد الحواس
نسوا بأنكم أباء تذودون ذود القشاع
نسوا بأن أجدادكم وطئت بالخيل عرش الأعاجم

نسوا بأن نساء الشام أنجبن رجالاً كخالد وأبي عبيدة والقعقاع والعباس ومحزه..
وأن راية الفاروق لن تهزمها راية أبي لؤلؤة المجوسي ولا راية الروس ولا غيرهم بحال..
وأن الفروج التي نذرت نفسها للمتعة لا يمكن بحال أن تنجب أبطالاً لأبناء عائشة في النزال..
لن يستوي الطرفان من أي وجه كان..

إن الله متم نوره ولو كرهوا.. هذا وعد ربنا.. فورب السماء والأرض إنه لحقٌّ مثلما أنكم تنطقون إنه لحق لأن الله قال: (كتَبَ
اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرَسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [المجادلة: 21].
إنه لحق لأن الله قال: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ) [الأنباء: 105].
فاغزوهم كما يغزونكم..
صلوا عليهم كما يصلون عليكم..
نالوا منهم كما ينالون منكم..

ولستم سواءً .. قتلاكم بإذن الله في الجنة ، وقتلهم في النار وبئس القرار (إِنْ تَكُونُوا تَالِمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَالَّمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ)

إنه حبُّ الجهاد التي تجذّرت في القلوب، فأين أقواماً يسرون على الأرض كأنهم ليسوا من أهلها، تسابقهم النظرَ كرهاً أو كرتين ثم لا تملك إلا أن تقف أمام روعتهم عاجزاً متسائلاً مستفهمَاً، أنجوم هم؟ أشموس هم؟ أم أنهم بشرٌ أمثالنا؟ وإنها دعوة الإسلام التي أنجبت أبي بكر الصديق

وَعُمَرَ الَّذِي أَغْصَنَ كُسْرَى بِالرِّيق
وَعُثْمَانَ الصَّابَرَ عَلَى مُرْمَذِيق
وَعَلَيَا بَحْرَ الْعِلْمِ الْعَمِيقِ

إنها الدعوة التي حمل لواءها خالد بن الوليد

وبذل مهجته في سبيلها البراءُ الصنديد

وعلياً بحر العلم العميق

وَحَمَلَ سِيفَهَا مُصْلِّتًا أَبُو عَبِيْدَةَ يَضْرِبُ كُلَّ كَافِرٍ عَنِيدٍ
وَيَصُونُ عَقِيْدَتَهَا الْأَخْيَارُ فَحَدَثَ بِرْبَكَ عَنْ سَعْدٍ وَسَعِيدٍ
هِيَ الدُّعَوَةُ الْعَالَمِيَّةُ الَّتِي لَا تَعْرِفُ لِلْعَقْمِ سَبِيلًا
وَلَلَّادَةُ مَلَأَتُ الدُّنْيَا أَبْطَالًاً.. أَسْمَاؤُهُمْ بَاتَتْ لِلساَلَكِينِ دَلِيلًا
تَنَالُّ مِنْ عَنْهُ، الْكَفُورُ وَلَا تَغُمُّ لِسُوَى ذَلِكَ تَغْيِيرًا وَلَا تَبْدِيلًا

وافتح من تاريخ أمتنا صفحات سيعييك حصرها لأقوامٍ مضوا فداءً أمتهن لا يعرفون خَوْرًا كلهم أَسْدُ غَاب، يرفعون رايةً واضحةً صلبها التوحيد لا جاهلية فيها ولا تباس.

إنها دعوة الإسلام التي لا تعرف الحلول الوسط ولا أنصاف الحلول ولا تقبل المزاحمة أبداً أبداً، وتتأيي إلا الظهور والغلبة..

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ بِهِمْ بِغَاصِبِينَ (آل عمران: 173).

المصادر: